١٦

آية‌الله‌العظمى الإمام‌الحكيم

قيس آل قيس

الحمدُ لله ربِ العالمين حمد من التزم حد الله و لم يتعداه، و أشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لا يرىٰ في ملك الله إلا الله، و أشهد أنَّ محمداً رسول الله الذي دعا الىٰ الشرع القويم والصراط المستقيم، و أشهد أنَّ علياً (يعسوب الدين و أميرالمؤمنين) ولي الله، فصلِ اللّهم عليه و علىٰ وليه و علىٰ آله الطيبين الطاهرين المعصومين المنتجبين من الآن الىٰ يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

و بعد:

ساد عالمنا الاسلامي علماء أبرار كانوا غرراً في جبين الدهر تعظمهم كافة النفوس، و تحبهم كل القلوب، و تخضع امامهم فراعنة الأجيال و طغاة الكون، و كونت سيرتهم و آراؤهم مبادئ راسخة و مدارس خالدة أتخذت شعوب الأرض منها دروساً واستوحت الانسانية منها عبراً و استخرجت الأجيال منها مناهج لاحبة، واستنارت الأمم بنور هدايتهم. و من هؤلاء العظماء العالم الرباني، ركن الطائفة

والدين، و استاذ الفقهاء والمجتهدين، برهان العلم القاطع، و قمرالدين الساطع، منارالشريعة، ونبراس فقهاء الشيعة، نَبْريس العبقرية والنبوغ، مجددالفقه الجعفري، في القرن الرابع عشر الهجرى، المرجع الأكبر في الفتوىٰ والتقليد، سيدالطائفة آية الله العظمىٰ الامام المجاهد السيد محسن الطباطبائي الحكيم رضى الله عنه و أرضاه.

ولادته

ولد هذا العالم الجليل البارع بالنجف الأشرف في بيت شرف و علم و رياسة و فضل سنة ١٣٠٦ هـ.

نسبه الشريف

نسب الامام الحكيم من أشرف و أرفع انساب العرب حيث ينتهي نسبه العريق بثلاثين واسطة الىٰ امام المشارق والمغارب و أسد الله الغالب أبي الأئمة، الامام علي بن أبي طالب (ع) و بالشكل التالي:

السيد محسن بن السيد مهدي[1] بن السيد صالح بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد ابراهيم الطبيب بن السيد علي الحكيم الطباطبائي النجفي ابن الامير السيد مراد بن الأمير السيد أسد الله بن السيد جلال الدين بن الأمير السيد حسن بن الأمير مجد الدين. بن الأمير السيد قوام الدين بن الأمير السيد اسماعيل بن السيد أبي المكارم المير عباد (و كان نقيباً بالعراق) ابن الأمير السيد أبي المجد علي (الملقب بشهاب و كان نقيباً بالعراق) ابن الأمير السيد عباد (المكنىٰ بأبي الفضل) بن الأمير علي المكنىٰ بأبي هاشم (و كان فاضلاً أديباً توفى رحمه الله فى محرم الحرام سنة ٤٦٣ هـ.) ابن الأمير حمزة (و هو عباد بن أبي المجد النقيب بالعراق) ابن المير اسحاق (المكنىٰ بأبي المجد) ابن الامير طاهر (المكنىٰ بأبي هاشم) ابن السيد الأمير علي (الملقب بشهاب الدين المكنىٰ بأبي الحسين الشاعر) ابن السيد الأمير محمد (المكنىٰ بأبي الحسن الشاعر و كان عالماً نقيباً، له مؤلفات قيمة توفىٰ سنة ٣٣٢ هـ) ابن الأمير احمد (الملقب بفتوح الدين المكنىٰ بأبي عبدالله الشاعر) ابن الأمير محمد (المكنىٰ بأبي جعفر الأصغر) ابن الأمير احمد الرئيس (المكنىٰ بأبي العباد) ابن ابراهيم طباطبا بن اسماعيل الديباج (المكنىٰ بأبى ابراهيم و

يقال له الشريف الخلاص) ابن ابراهيم الغمر (صاحب القبة الموجودة بين النجف والكوفة) ابن الحسن المثنىٰ بن الامام الزكي المجتبىٰ ابي محمد الحسن بن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

و هذا النسب الشريف مدون علىٰ شجرة نسب قديمة موجودة الآن عند آل الحكيم (أيدهم الله تعالىٰ) نقلها الأحفاد عن الأولاد عن الاباء عن الأجداد.

أساتذته

شرع الامام الحكيم بقراءة القرآن المجيد في سن السابعة، ثم توجه الىٰ قواعد اللغة العربية و هو في التاسعة من عمره حيث درس النحو والصرف، و بعد ذلك درس المقدمات الىٰ كتاب «القوانين» علىٰ طليعة الفقهاء الاعلام أخيه الأكبر سماحة العلاّمة السيد محمود الحكيم.

و في سنة ١٣٢٦ هـ دخل حلقة درس الشيخ محمد كاظم بن الحسين الخراساني (١٢٥٥ ـ ١٣٢٩ هـ) الشهير بالآخوند الخراساني، تلميذ الشيخ مرتضىٰ الانصاري (المتوفىٰ رحمه الله في سنة ١٢٨١ هـ)، و استاذ المجتهد الاكبر آية الله العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني (المتوفىٰ رحمه الله سنة ١٣٦٥ هـ)، حيث درس عليه الفقه والأصول.

و بعد وفاة هذا الاستاذ الجليل (رحمه الله)، اكمل الامام الحكيم دروسه لدىٰ مجدد علم الأصول الشيخ آغا ضياء الدين العراقي (المتوفىٰ رحمه الله سنة ١٣٦٥ هـ) حيث درس عليه الأصول والفقه حتىٰ سنة ١٣٤٢ هـ.

كما تتلمذ علىٰ المغفور له الشيخ علي باقر الجواهري حيث درس عليه الفقه مدة تقارب الخمس سنوات. و بعد وفاته (رحمه الله) تتلمذ علىٰ المرحوم العلاّمة الشيخ الميرزا حسين بن عبدالرحيم[٢] النائيني الغروي (المتوفىٰ رحمه الله في سنة ١٣٥٥ هـ).

تلامذته

خَلَّفَ رحمه الله تلامذة نجباء حملوا راية العلم والتحرير و تابعوا مسيرته العلمية الثورية، منهم اضافة الىٰ ابنائه النجباء الاحرار علماء كثار كبار امثال العلاّمة السيد محمد حسين فضل الله قائد الحركة الثورية الاسلامية الراهنة في لبنان اليوم.

منصة التدريس

ارتقىٰ سماحة سيدنا وامامنا الحكيم منصة التدريس عام ١٣٣٣ هـ حين عاد من الجهاد (انظر مواقفه السياسية فيمايلي) فبدأ لأوّل مرة في تدريس «الكفاية» سطحاً، وأول دورة فقهية باحثها خارجاً كانت في عام ١٣٣٨ هـ بعنوان «التبصرة» و قد شرح جملة من كتبها اثناء تدريسها (انظر مادة مؤلفاته فيمايلي). كما شرع لأوّل مرة في تدريس «الكفاية» في نفس العام المذكور فحضر لديه جملة من المشتغلين في الجزء الثاني من «الكفاية» و في اثناء تدريسه وضع الجزء الثاني من تعليقه عليه. و شرع في تدريس «العروة الوثقىٰ» خارجاً في سنة ١٣٤٧ هـ فباحث فيها درسين، أحدهما في مسائل الاجتهاد والتقليد، و ثانيهما في صلاة الآيات، و كان يكتب الدرسين.

واستمر (رحمه الله) في تدريس «العروة الوثقىٰ» الىٰ نهاية كتاب «الخُمس»، و قد تكرر منه تدريسها، وأكمل شرحها في اثناء التدريس و بعض أوقات الفراغ.

كما باحث «المكاسب» في عدة دروس وألف الجزء الأوّل والثاني من تعليقته عليها أثناء تدريسه.

شخصيته

كان ذا شخصية لامعة تمتاز بمواهب فائقة، جمع القدرة العلمية والعبقرية السياسية النادرة، كما كان مرجعاً دينياً قوياً مثقفاً مستنيراً، و وطنياً صادقاً يتحلىٰ ببعد النظر والفكر الثاقب، و ظلَّ العراقيون و ابناء الشيعة في ارجاء العالم الاسلامي يستعذ بون كل المصاعب في سبيله و في سبيل أنجاله واحفاده و ذلك لأنَّهُ اضافة الىٰ سجاياه الحميدة و أخلاقه الفاضلة تمكن بفضل جده و مثابرته و ثاقب فكره و بعد نظره و صلابة مواقفه أنْ يحول العناصر المتشاحنة في عراقنا الحبيب الىٰ أُمة متجانسة قوية متلاحمة، ناهيك عن كونه اكبر المؤمنين بفكرة الوحدة الاسلامية، و ظلَّ بطلها المؤمن بها طوال حياته حيث عمل دائباً علىٰ أنْ يحرر المسلمين من نير الاستعمار والسيطرة الاجنبية والاستغلال الداخلي.

نعم كان الامام الحكيم من كبار العلماء الذين خططوا لقيام دولة اسلامية متحررة من نير الاستعمار، و كان يتقد حماساً لرفعة الاسلام و عزته و اعلاء كلمة الله العليا.

أما أخلاقه الفاضلة و سجاياه الحميدة فانها أظهر من شمس تموز و أبين من قمر الصحراء، كان يجمع بين هيبة الشخصية و طلاقة المُحيّا، كما كان يسعىٰ (رحمه الله) في تنفيذ الاخلاق الاسلامية السامية علىٰ جميع شؤون الحياة و مع كل من يواجهه و يجالسه.

و قال أحد مقربيه[٣]: كان رمزاً للأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة والخصال الحميدة، متواضعاً بشوشاً لاتفارق شفتيه الكريمتين ابتسامة الطيب التي يخفف بها وطأة الهيبة التي يجابهها الداخل عليه.

و قد اهتم الامامُ الحكيمُ اهتماماً بالغاً في رفع مستوىٰ العلماء و طلبة العلوم الدينية مادياً و معنوياً. و لم يكن اهتمامه بالضعفاء والفقراء والأيتام والأيامىٰ و ابناء السبيل بأقل من هذا بل كان أكبر و أعظم.

و اضافة الىٰ ماتقدم كان الامام الحكيم قد امتاز بأنَّهُ يوحي الخير العظيم الىٰ القلوب الخيرة. فأصبح يتمتع بثروة القلوب تطفح بالاخلاص له و تحوطه بالعناية في كل حين، و هذه الثروة اساسها الخير المحض لا شئ آخر.

مرجعيته

انَّ للانتخابات في العصر الحديث مراسيم خاصة تعرفها كافة أمم العالم، أما انتخاب مرجع التقليد (الزعيم الديني) لدىٰ الشيعة الامامية فهو من أعجب أضْراب الانتخابات علىٰ سطح المعمورة بكاملها، فلاصندوق لجمع الآراء حتىٰ تزور، ولا يحتاج الىٰ الدعايات كي يسيطر عليها الدجلُ والخداعُ والكذبُ، ولا الىٰ قبيلة أوفئة أو شخص حتىٰ تلعب الأغراض الشخصية دورها، أو الىٰ حزب أو منظمة أو جمعية أو اتحاد حتىٰ يكون مسيراً بارادتهم، أو الىٰ طلب من السلطة الحاكمة حتىٰ يلعب به البر والفاجر والوضيع والشريف و يستولي عليه جماعة من الدجالين لايصلحون إلّا للنعيق و اثارة الضجة حول اسيادهم. بل الزعامة الدينية ثوب فضفاض يخلعه الله تعالىٰ علىٰ عالمٍ تجمعت فيه الصفات الحميدة الحسنة، وابتعدت عنه الصفات الرذيلة، و جمع المؤهلات الروحية والعقلية والفكرية. إنّها منحة الهية لذوي الجاه العظيم عند الباري تعالىٰ والمنزلة الرفيعة السامية لديه.

لذا فانَّ الزعامة الدينية و مرجعية التقليد قد انتهت الىٰ سماحة الامام الحكيم بعد

رحلة المجتهد الاكبر سماحة آية‌الله العظمىٰ السيد أبي الحسن الاصفهاني (رحمه‌الله) في سنة ١٣٦٥ هـ. فأشغل المركزية للافتاء والتقليد، وأمسىٰ المرجع الأعلىٰ للشيعة الامامية لايختلف فيه اثنان.

مكتبته و فروعها

من المتفق عليه في كافة الأوساط الثقافية في العالم العربي والاسلامي انَّ مدينة النجف الاشرف كانت مشهورة بالمكتبات العامة، لم لا و هي مدينة العلم والدين والثقافة منذ اكثر من الف عام، ولكن مع الأسف نرىٰ هذه المدينة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري قد خلت من مكتبات عامة تساعد طلاب العلوم في بحوثهم و تحقيقاتهم و تصقل مواهبهم و مؤهلاتهم الفكرية و تدفعهم الىٰ الانتاج الفكري في مجالي العلم والأدب، فلما كان من مجدد الفقه الجعفري في القرن الرابع عشر الهجري المرجع الاكبر سيد الطائفة سماحة الامام الحكيم (رحمه الله) إلا أنْ أمر بانشاء مكتبة عامة و ذلك في سنة ١٣٧٧ هـ و قرر أن يكون مقرها في جامع الهندي بالنجف الأشرف حيث زودت بالكتب العلمية والثقافية و هيأت وسائل الراحة والرفاه للمطالعين والمؤلفين، و كان لها دورٌ فعّالٌ و أثر بالغ في تشجيع روح المطالعة والقراءة في النفوس اضافة الىٰ تهيئة المصادر لذوي المواهب والمحققين والمؤلفين.

ولم يكتف الامام الحكيم (رحمه‌الله) بهذا المستوىٰ المحدود بل أصدر أمره المبارك بانشاء فروع لها في بعض المحافظات والمدن الكبيرة والصغيرة[٢] كي تؤدي واجبها الثقافي ـ الديني، كما أناط امر كل فرع من هذه الفروع الىٰ أحد علماء الدين من ذوي المقدرة والكفاءة العلمية كي يقوم بارشاد الناس واداء واجبه الشرعي والتوجيهي، فصارت تلك الفروع المنتشرة كمدارس موزعة في انحاء العراق تنفذ رسالة دينية اجتماعية ثقافية كبرىٰ رائدها نشر الاسلام و محو الخُرافات والاضمحلال الحضاري.

كما تحملت هذه المكتبة مسؤولية خطيرة ذات أهمية عظمىٰ حيث أقامت روابط ثقافية مع المنظمات المسؤولة في العالم الاسلامي والجاليات الاسلامية المنتشرة في ارجاء المعمورة و زوّدتها بكثير من مصادر الامامية و وسائل البحث في معتقداتها، و من ذلك علىٰ سبيل المثال لا الحصر:

آـ تزويد المكتبة التي أُسست في جاكرتا عاصمة جمهورية اندونيسيا في

١٠ /ربيع الأول/ ١٣٨١ هـ بالكتب الشرعية والثقافية والمصادر.

ب ـ و كذا للمكتبة التي أُسست في مدينة حمص بالجمهورية السورية.

جـ ـ والجناح الخاص الذي أُفتتح في مكتبة «المقاصد الاسلامية» ببيروت في ١٥ /شعبان/ ١٣٨١ هـ.

د ـ والجالية الاسلامية في هامبورك (المانيا).

هـ ـ والجالية الاسلامية في يوغسلافيا.

و ـ والجالية الاسلامية في غيانا.

ز ـ و بعض مكتبات ايران والهند و باكستان.

و غير ذلك من المبادلات التي أدّت بموجبها هذه المكتبة رسالتها تجاه الاسلام والمسلمين.

أعماله الخيرية

أنجز سماحة الامام الحكيم (رحمه الله) مشاريع خيرية و اصلاحية و اعمارية هامة منها:

١) ظلَّ طوال عمره الشريف يقوم بالانفاق على طلبة العلوم الدينية في جامعة النجف الاشرف و بقية المراكز العلمية الأخرى.

٢) دفع رواتب شهرية الى أئمة المساجد والخطباء والمؤذنين.

٣) تكفل إعالة العوائل الفقيرة والأيتام والأيامى وابناء السبيل.

٤) بناء المساجد و توسيعها و ترميمها، حيث جدد بناء مسجد الشيخ الانصاري، و توسعة مسجد الهندى بالنجف الاشرف، و بناء مسجد مدينة الهندية، و مسجد محلة نينوى في مدينة الموصل، و مسجد الكفل، و مسجد القاسم، و مسجد سويج شجر، و مسجد الامام الحكيم في سنجار (و جميعها في العراق)، كما شيد في حلب (سوريا) مسجد يعرف بمشهد النقطة٥.

٥) بناء الحسينيات، مثل: حُسينية كركوك، حُسينية الكرادة ببغداد، حُسينية الكفل، حُسينية الرحباوي، حُسينية ابن ادريس بالحلة (وجميعها في العراق).

٦) انشاء المدارس، مثل: المدرسة العاملية بالنجف الأشرف، مدرسة الرحباوي، مدرسة الأفغانيين والتبتيين بالنجف الأشرف، مدرسة شريف العلماء بكربلاء المقدسة، مدرسة ابن ادريس في الحلة.

٧) بعثات الارشاد والتوجيه الديني: و تقسم هذه البعثات الى قسمين!

آ) البعثات القطرية، و واجبها الذهاب الىٰ الأقضية والنواحي والقُرىٰ والقصبات والأرياف لارشاد المسلمين، و كان الامام الحكيم يتولىٰ كافة مصارف و نفقات علماء هذه‌البعثات منذ خروجهم من النجف الأشرف حتىٰ عودتهم اليه.

ب) البعثة الكبيرة التي ترسل الىٰ الحج سنوياً، وهي بعثة ارشادية توجيهية ذات أهمية كبيرة واجبها ارشاد حجيج بيت الله الحرام و بيان مايحتاجون اليه من المسائل الشرعية و أُمور مناسك الحج الأُخرىٰ، و كان سماحة الامام الحكيم يقدم كل ماتحتاجه هذه‌البعثات من المال و وسائل الارشاد، و يؤكد تأكيداً مطلقاً علىٰ أنْ لا تقبل هذه‌البعثات أي تبرعات أو هدايا أوهبات.

٨) المكتبات العامة، راجع ما ذكرناه فيما تقدم.

٩) تشجيع المؤلفين والمصنفين والكُتّاب، و قد أولىٰ سماحته هذا الأمر الثقافي العظيم عناية خاصة إذْكان يعتقد انّ المؤلفين هم العمود الفقري للمجتمع الاسلامي - يجب الاعتناء بهم و تشجيعهم و اسنادهم بكل الطرق والوسائل و حضهم علىٰ الكتابة والتأليف والنشر.

١٠) ايفاد العلماء الىٰ الخارج، أوفد سماحته عدداً كبيراً من العلماء الىٰ الدول الاسلامية لتفقد شؤون شعوبها و اصلاح حالهم و تنظيم أمورهم و بذرالمحبة و الأُخوة والاتحاد فيما بينهم، و من هذه‌الوفود و فده الىٰ سوريا (حيث زار حلب و دمشق و جبال العلويين و أماكن أُخرىٰ)، و وفده الىٰ بيروت، والقاهرة، والكويت، و ايران، والحجاز، والبحرين، و امارات الخليج، والهند، و باكستان، و افغانستان، و كشمير، هذا بالاضافة الىٰ مَنْ أوفدهم سماحته نيابة عنه الىٰ المراسيم والاجتماعات الاسلامية في داخل العراق.

١١) ولا يخفىٰ علىٰ القارئ الكريم مواقف سماحته في التأكيد علىٰ احياء ذكرىٰ عاشوراء في كافة أقطار العالم الاسلامي، و مشاركته في ارسال البرقيات في ذكرىٰ مولد الامام علي (ع) و بقية‌الأئمة المعصومين رضوان الله عليهم أجمعين.

مواقف سماحته من المؤتمرات الصورية

خير مثال علىٰ مواقف سماحته من هذه المؤتمرات نص رسالته التي وجهها (رحمه‌الله) الىٰ المكتب الدائم للمؤتمر الاسلامي المقام في القدس سنة ١٣٨١ هـ، و هذا نصها حرفياً:

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات أعضاء المؤتمر الاسلامي المحترمين نفع الله بهم المسلمين.
السلام عليكم و رحمة الله، والدعاء لكم بالتوفيق والتسديد.

لقد وصلتنا رسالتكم الكريمة التي ذكر تم فيها عن قرب انعقاد المؤتمر الاسلامي العام، و عمّا يعتزمه عن نشاط موفق باذن الله تعالىٰ في سبيل جمع صفوة من المفكرين الاسلاميين لدراسة شؤون الأمة الاسلامية و مشاكلها، فتلقينا هذا النبأ بارتياح، لأن فكرة انعقاد مثل هذا المؤتمر تلتقى مع الروح الاسلامية التي تدعو الىٰ التقارب والتشاور والاجتماع و تشجيع هذه الأعمال و الأفكار.

و ما أحوج الأمة دائماً و في هذا الظرف الدقيق بالذات الىٰ التفكير في مشاكلها و دراستها و وضع خطتها خطة العمل بأمثال هذه المؤتمرات العامة.

غير انَّ الحقيقة التي يجب أن تقال بهذا الصدد و نعترف بها بمرارة هي أنَّ المؤتمرات الاسلامية التي تألفت حتىٰ الآن لم تؤدِ وظيفتها بالصورة المطلوبة منها، فان الصحيح منها ما كان ليعقد في الغالب الاّ للتنفيس عن عاطفة اسلامية مشكورة، أما المساهمة الحقيقية في حلّ مشاكل الأمة في مختلف مجالات حياتها فليس للمؤتمرات التي عاصرناها نصيب ملحوظ من ذلك و هذا هو أحد أسباب الانفصال الذي أحسسناه بين المؤتمرات والأمة، مع أَنَّ المفروض في الأمة أنْ تساير هذه المؤتمرات في نشاطها، و تعيش مع مقرراتها في واقعها العملي بوصفها (أعني الأمة) المجال السمح للعمل الاسلامي الكبير الذي تقصده هذه المؤتمرات.

و لهذا أرىٰ من الواجب علىٰ المؤتمر الاسلامي إذا اراد لنفسه أنْ يحقق هدفاً أسمىٰ أن يضع نصب عينيه:

«أوّلاً»: انَّ المؤتمر الذي يمكن للأمة الاسلامية أنْ تنظر إليه بوصفه عنصراً من عناصر القيادة لها هو المؤتمر الذي تنبثق فكرته عن الاحساس العميق بآلام الأمة و مصائبها الحقيقية التي تراكمت في تاريخها الطويل، حتىٰ عزلتها عن مركزها الرئيسي من تيار الحضارة العالمية، و فرضت عليها أنْ تواكب التيارات

المعادية لها باستسلام و خضوع، بدلاً من أنْ تكون هي الموجهة للتيارالعالمي، كماكان لها مثل هذا التوجيه في تاريخها البعيد.

و أما المؤتمر الذي لم يمتلى شعوراً بحرارة تلك الآلام، و إنّما يتولد عن رغبة في التعارف علىٰ اخوان مسلمين و بلد اسلامي مقدس فقط، فقد يتاح له أنْ ينشئ صلات أخوية طيبة بين عدد من المفكرين والنابهين المسلمين، و لكن لن يتاح له بحال من الأحوال أن يشعر الأمة بقيادته الفكرية.

«ثانياً»: إنَّ المؤتمر حينما يتحسس بآلام الأمة و مصائبها يجب عليه ألاّ يفكر في الاستسلام لتلك المصائب و اعتبارها أموراً لامفر منها يدير جلساته و محادثاته ضمن نطاقها العام، لأنّ مثل هذا الاستسلام يجعل الاحساس أنفعالاً مجرداً، فالقيادة لاتقوم علىٰ اساس الإنفعال فحسب، لأنها توجيه و بناء و ليست تبعية وانعكاساً. فالأمة تنتظر من المؤتمر الجدير بقيادتها أنْ تجد عنده التعبير المنظم لتلك الآلام، و أنْ تجد عنده قدرة الترفيع علىٰ الواقع الفاسد الذي تعيشه الأمة ليتاح له بجدارة أنْ يفكر في كيفية معالجة هذا الواقع و اصلاحه.

«ثالثاً»: إنَّ هُناك حقيقة يجب أنْ لاننساها، وهي أنَّ المسلمين و بالأحرىٰ الشعوب الاسلامية ليست بحاجة الىٰ تعارف بينها بقدر ماهي بحاجة الىٰ أُسس اسلامية قوية يقوم عليها التعارف، لأنا لانكتفي بالتعارف بين المسلمين فحسب، و إنّما نريد أنْ يكون المسلمين بالمعنىٰ الصحيح، فيتعارفوا علىٰ هذا الأساس، فانَّهُ إنْ لم يعرف المسلمون الاسلام في افكارهم و في حياتهم و علاقاتهم فلا أمل في قيام تعارف حقيقي بينهم. و الكلمة نفسها تصدق علىٰ الحكومات القائمة في البلاد الاسلامية فان هذه الحكومات بحاجة الىٰ التعرف علىٰ الاسلام نفسه في جهازها و قوانينها، ليتاح لها بعد ذلك أنْ تتعارف بينها علىٰ اساس اسلامي، فلن يكون التعارف أو الاتحاد بين حكومات المسلمين (مهما كان شكله) اسلامياً مالم تكن الحكومات اسلامية بحد ذاتها، و إلا فهي جهاز من أجهزة أعداء الاسلام لتحبيطه والقضاء عليه، و بالأخير القضاء علىٰ الشعوب الإسلامية و كيانها الذاتي.

و انّي ختاماً أبتهل الىٰ المولىٰ سبحانه في أن يسبغ عليكم عنايته و لطفه و

يأخذ بيدكم لما فيه صلاح الاسلام والمسلمين، و يكتب لكم التوفيق في مؤتمركم الاسلامي الكبير، والنجاح في الوصول الىٰ نتائج إيجابية حقيقية.

«و قل اعملوا فسيرىٰ الله عملكم و رسولُهُ والمؤمنون»

والسلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

١٥/ج٢/١٣٨١ هـ

محسن الطباطبائي الحكيم

مواقفه السياسية

إنَّ دخول خضم بحرالمُواقف السياسية للامام الحكيم أعظم واكبر وأعلىٰ و أسمىٰ من أنْ تختصر في هذهالمقالة الوجيزة، من أين أبدأ و أين أنتهي، أ أخبرك أخي القارئ عن مواقف سيدنا الأجل الأكرم ضد الإ نجليز و مشاركته الحبوبي (الفقيةالشاعرالمناضل محمد سعيد بن محمودالحسني النجفي، ١٢٦٦ ـ ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ م) في قيامه بصدالزحف البريطاني عن العراق في بدء الحرب العالمية الأولىٰ و اعلان الجهاد، أم عن موقفه المعروف من العدوان الثلاثي علىٰ مصر، أم عن نضاله ضدالصهيونية و وضعه المسلمين امام مسؤولياتهم الشرعية والتاريخية في مواجهة اسرائيل والقوىٰ الكافرة، أم عن موقفه المشرف من أحداث بداية الثورة الاسلامية في ايران بقيادة الامام الخميني (مدظله العالي)، أم عن كفاحه ضدالحكم الملكي، و ضدالشيوعيين وزعيمهم الأوحد عبدالكريم قاسم حيث أباد حزبهم العميل بفتواه الخالدة، أم عن مواقفه الجليلة الجبارة امام الحكم العارفي و امام البعثيين (أخزاهم الله تعالىٰ) في فترة حكمهم الأولىٰ والحالية.

لا يا عزيزي القارئ فأنني أستميحُكَ عُذراً، ولكن أعدك بأنني سأدون ذلك مفصلاً في القسم الثاني من كتابنا «مراجع التقليد و علماء فتوىٰ الشيعةالامامية»[٦] انشاءالله.

وفاته

توفىٰ رحمهالله في سنة ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠ م في مدينةالنجف الأشرف و دفن فيها

بالضلع الشمالي الشرقي لجامع الهندي، و كان يوم وفاته يوماً مشهوداً بكثرة الناس و عظم الحزن و شدة البكاء.

مصنفاته

خَلَّفَ الامام الحكيم للمكتبة الاسلامية مؤلفات مهمة تسكن لسماعها المشاعر، و تخضع لسلطانها القلوب، لانها ليست صياغة الفاظ أو تجويد سبك تراكيب بل هي عصارة روح عالية و جوهر حقيقة صافية، أودع فيها افلاذ كبده، وأشع عليها انوار عقله، و كبسها بما أُتي من المواهب والمعارف، و زيَّنها بما حصله من التجارب، منها:

١) كتاب ميراث الزوجة، ألفه في سنة ١٣٣١ هـ عندما كان عمره الشريف لايتجاوز السادسة والعشرين، و بعد فراغه منه قدّمه الىٰ العلامة المجاهد الكبير السيد الحبوبي (المذكور سابقاً) فلم يملك الحبوبي الا أنْ أطلق كلمته الخالدة التي تبين اعجابه و اعتزازه بهذا الشاب و نظره اليه بعين الاكبار والتجليل: "اننالم نعرف قدرك حتىٰ الآن، أما الآن و قدرأينا هذا الكتاب فقد عرفناك حق المعرفة». يالها من كلمة! ما أكبرها و أعظمها، انها كلمة عظيمة من عالم كبير يعرف العظماء ويُقدر مكانتهم السامية.

٢) كتاب مستمسك العروة الوثقىٰ، الأصل كتاب العروة الوثْقىٰ للسيد محمد كاظم اليزدي، و هو أوسع و أشمل واركز الكتب الفقهية المصنفة في هذا المضمار حتىٰ عصرنا الحاضر لما فيه من رصانة الدليل و قوة الحجة والجمع للأدلة من الكتاب والسنة والاجماع والعقل والالمام بأقوال فطاحل الفقهاء القُدامىٰ والمتأخرين[٧]، أما شرحه المسمىٰ بالمستمسك[٨] فهو كتاب معروف متداول طبع في سنة ١٣٦٨ هـ، و بين سنتي ١٣٧٦ ـ ١٣٨٢ هـ، و بلغت اجزاؤه ١٢ جزءاً في ٦١٠٢ صفحة.

٣) كتاب حقائق الأصول، (انظر الذريعة، ج ٦، ص ١٨٨، الرقم ١٠٢٦) و هو اختصار و توضيح لكتاب «كفاية الأصول» تأليف آية الله الفقيد الشيخ محمد كاظم الخراساني استاذ سيدنا الامام الحكيم.

طبع هذا الكتاب في النجف الأشرف سنة ١٣٧٢ هـ في جزئين يبلغ عدد صفحاتهما ١٣٨٠ صفحة.

٤) منهاج الصالحين، و هو رسالة عملية مفصلة بجزئين، طبع هذا الكتاب لاول مرة في النجف الأشرف سنة ١٣٦٥ هـ، ثم تكرر طبعه، و كانت الطبعة الحادية عشرة في سنه ١٣٨٢ هـ.

٥) دليل الناسك، و هو شرح استدلالي مختصر على مناسك الحج تأليف استاذه الشيخ ميرزا حسين الغروي النائيني المذكور فيما تقدم.

طبع في النجف الاشرف سنة ١٣٧٧ هـ و يبلغ عدد صفحاته ٢٧٦ صفحة.

٦) نهج الفقاهة، (انظر الذريعة، ج ٦، ص ٢٢٠، الرقم ١٢٣٥)، و هو شرح استدلالي على كتاب المكاسب للامام الكبير الشيخ مرتضى بن محمد أمين الانصاري (قده). طبع في النجف الاشرف سنة ١٣٧٤ هـ.

٧) شرح التبصرة، (انظر الذريعة، ج ١٣، ص ١٣٦، الرقم ٤٥٥)، شرح فيه كتاب تبصرة المتعلمين في أحكام الدين للعلّامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلي (قده).

٨) تعليقة على رياض المسائل في بيان احكام الشرع بالدلائل تأليف المحقق الحلّي الشيخ جعفر بن الحسن الهذلي (انظر الذريعة، ج ٦، ص ١٠١، الرقم ٥٤٣).

٩) شرح كتاب النافع، الأصل هو كتاب المختصر النافع و يقال له النافع في مختصر الشرايع تأليف المحقق الحلّي المذكور أعلاه، والشرح لسيدنا الامام الحكيم، (انظر الذريعة، ج ١٤، ص ٦٠، الرقم ١٧٤٠).

١٠) رسالة مختصرة في الدراية (خطية).

١١) حاشية على كتاب الربا من مستدركات كتاب العروة الوثقى المذكور فيما تقدم (خطية).

١٢) حاشية على كتاب التقريرات للخوانساري (خطية).

١٣) رسالة في ارث الزوجة من الزوج، فرغ منها في ١٨/صفر/١٣٣٢ هـ. (خطية).

١٤) تعليقة على كتاب نجاة‌العباد، (خطية).

١٥) رسالة في بعض الفروع المتفرقة من الصلاة، (خطية).

١٦) رسالة فيما يتعلق بسجدتي السهو، (خطية).

و جميع المصنفات الخطية التي اشرنا اليها موجودة في مكتبته المذكورة فيما تقدم.

و ختاماً لايسعني الا أنْ اَقدم شكرى الجزيل و امتناني العميق الىٰ مكتب السيدالحكيم (سماحة حجةالاسلام والمسلمين المناضل الكبير السيد محمد باقر الحكيم نجل امامنا ايةالله العظمىٰ السيد محسن الحكيم (رحمه‌الله)) لما قدموه لنا من مساعدات مشكورة جزاهم الله عناوعن الاسلام كل خير.

كما أقدم شكرى و تقديرى الىٰ الأخ محمد هادي لمساعدته في تهية المعلومات اللازمة لهذه المقالة.

مع فائق احتراماتى و تقديرى الىٰ الأخوة القُرّاء.

*** پی نوشتها و مآخذ:

۱. كان علاّمة عصره فقيهاً مجتهداً تقياً ورعاً مهذباً بارعاً في العلوم، أجيز بالاجتهاد من قبل علماء عصره، منهم الشيخ محمد طه نجف (قده).

۲. الحاج الميرزا عبدالرحيم الملقب بشيخ الاسلام، كان عالماً جليل القدر من علماء الدرجة الأولىٰ في نائين.

۳. السيد احمدالحسيني النجفي.

۴. فرع مدينة الموصل، فرع مدينةالبصرة (أضيف الىٰ هذا الفرع في ۱۲ /ربيع الثاني/۱۳۸۲ هـ فرع آخر فُتِحَ في محلة الجمهورية)، فرع مدينةالعمارة، فرع مدينةالديوانية، فرع مدينةالحلّة، فرع مدينة بعقوبة (في ضاحية: خرنابات)، فرع قضاء الزبير، فرع قضاء تلعفر، فرع قضاء المقدادية، فرع قضاء المشخاب، فرع قضاء الكوفة، فرع قضاء القُرنة، فرع قضاء النجف، فرع قضاء الدجيل، فرع ناحيةالعزيزية، فرع ناحيةالقاسم، فرع ناحيةالحمزة، فرع ناحيةالعباسيات، فرع ناحية غمّاس، فروع العاصمة بغداد و هي:

آ ـ فرع محلة الصالحية.

ب ـ فرع منطقة الكرادةالشرقية.

۵) ذكر أنَّ سبب بناء المشهد المسمىٰ بـ «النقطة» هو أنَّ رأس سيدالشهداء الامام الحسين (ع) لَما وصلوابه الىٰ هذاالمكان وضعوه علىٰ صخرة فقطرت منه قطرةُ دم فوق تلك الصخرة، فبنىٰ الحلبيون عليها مشهداً وسموه «مشهدالنقطة»، و بقىٰ هذا المشهد قائماً الىٰ أنْ أتخذه الأتراك مخزناً لذخائرهم وعتادهم الحربي قبل دخول الفرنسيين الى حلب، وفي سنة ۱۳۳۸ هـ حين دخل الفرنسيون مدينة حلب هجم علىٰ هذاالمشهد عدد من الناس فنهبوا مافيه من الذخائر والسلاح، فانفجرت في تلك الاثناء قنبلةٌ أدّت الىٰ انفجار بقيّة الذخائر والمهمات مما أدّىٰ الىٰ انهدام المشهد بكامله، وبَقى هذا المشهد مهدماً الىٰ أنْ أمر الامام الحكيم ببنائه فبُني بطريقة حديثة جميلة.

۶. المجلد الأول من هذاالكتاب هوالان تحت الطبع، و سيصدر المجلد الثاني منه بعدأ شهر قليلة ان شاءالله، و ان سيادة رئيس مؤسستنا الدكتور محمود البروجردي جاد في الاسراع بنشر هذا الكتاب حيث أصدر اوامره اللازمة و قدم كافةالتسهيلات و ذلّل كافةالعقبات، فجزاه الله عنا و عن القُرّاء الأعزاء خيراً.

۷. انظر كتاب مع علماء النجف الاشرف، الطبعة الأولىٰ، ص ۱۲۳.

۸. انظر الذريعة الىٰ تصانيف الشيعة للطهراني، ج ۱۳، ص ۳۶۹، بعد الرقم ۱۳۷۸ (شرح العروة الوُثقىٰ)، ج ۲۱، ص ۱۴، الرقم ۳۷۰۷ (مستمسك العروة الوُثقىٰ).